كلمة شكر

شكر وعرفان

الحمد لله الذي أعانني على إنجاز هذا البحث حمدا كثيرا طيّبا مباركا فيه، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد خير خلق الله وعلى صحبه ومن والاه.

أتقدم بأسمى آيات الشكر والعرفان إلى الأستاذة المشرفة المحترمة "بودالية رشيدة" على ما أولتني من توجيهات سديدة وإرشادات قيمة أثناء إنجاز هذا البحث.

كما أتقدم بعظم الامتنان لكل الأساتذة والزملاء الّذين تكرموا عليّ بإفادتهم ولو بالشيء اليسير.

كما أتقدم بشكر خاص إلى الصّديق منصور وقاص على إعانته لي في هذا البحث.

الإهداء

الإهداء

إلى ينبوع الحنان إلى من منحتني حب الحياة و الأمل وحب التطّلع نحو الأفضل إل من واجهت الصعاب من أجلي وأذرفت دموعها لكي لا أبكي أمّي الغالية "لويزة" حفظها الله ورعاها.

إلى من صاحب الشقاء وجاهد للبقاء إلى من صارع الزمن إلى الّذي أفنى عمره من أجل راحتي وكرّس حياته لسعادتي إلى من وافته المنية قبل أن يرى عملي هذا أبي الغالي "حسين" رحمـــــه الله.

إلى الأخت الغالية التي شاركتني بهجتي وحزني و إلى الكتكوتة أسماء – أروى.

إلى الإخوة الأعزاء: سامي، فؤاد، نصر الدين.

إلى الأخ الّذي لم تلده أمي والّذي كان لي معينا في إنجاز بحثي منصور.

إلى من ضاقت السطور لذكرهم فوسعهم قلبي أصدقائي الأعـــــزاء وكل من يعرفني إلى كل هؤلاء أهدي هـــــذا العمـــــــل.

مقدمة

مقدمة:

الحمد لله الذي خلق الإنسان، علّمه البيان والصلاة والسلام على نبيّنا محمد الذي أوتي جوامع الكلم واللسان.

أمـــــــــا بعـد:

فإن لكل جنس أدبي هويّته ووجهته ورؤيته ومشروعيته والشعر من الأجناس الأدبية لما يوظفه من طاقات إبداعية وما ينتج عنه من دلالات ومدلولات ... والمتأمّل لقصيدة الشاعر ابن الخلوف "تحية المشتاق وتنجية الأشواق" يجدها تقوم على وحدة الحب للرسول ﷺ، الذي أوتي جوامع الكلم وحصّ ببدائع الحكم وعلم ألسنة العرب، هذه القصيدة التي بناها الشاعر بناءً تقليديا على بحر الخليل بن أحمد الفراهيدي المتمثل في بحر البسيط، كانت قصيدة متشابكة الرؤى مرتبطة بتطور وتراكم معرفي دالة على تجربة شعرية رائقة حاور صاحبتها في هذا النص نصوصا سابقة له واستحضرها واتصّها نقلا أو تعميقا، تكثيفا أو تفكيكا ومن هذه النّصوص نصّان معجزان هما: القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف حيث استحضرها في سياق تأمّلاته ونسج بعباراته الشعرية قالبا لغويا مكتسبا من جمال لغتها ولذلك سنعرض في بحثنا هذا كيفية تحاور النص الذي بين أيدينا "تحية المشتاق وتنجية الأشواق" مع هذين النصّين المعجزين وكيف استحضرها وتقاطع معهما، ومن هذا عنونت بحثي بـ "التناص تائية ابن الخلوف" وقد قسمتُه إلى مقدمة وفصلين إثنين ذُيّلا بخاتمة.

الفصل الأول كان بعنوان بوابات البحث وسياجاته وقد قسّم إلى مبحثين: المبحث الأوّل.

- ماهية التناص (المفهوم والمصطلح).
- التعريف بالشاعر.

أما المبحث الثاني: لمحة عن الديوان وكذا التائية، والتي تعتبر مدوّنة هذا البحث ويليه الفصل الثاني والذي كان تطبيقا ضمّ بدوره مبحثين إثنين: الأول: التناص العمودي (العميق)، والثاني: التناص الأفقي (السطحي)

لننهي بحثنا بخاتمة ذكرت فيها بعض الملاحظات يمكن أن نعتبرها نتائج لهذا البحث.

ولقد اعتمدنا في بحثنا هذا على مراجع عدّة نذكر منها المصدر.

- ابن الخلوف: ديوان جني الجنتين في مدح خير الفرقتين، تحقيق العربي دحو، دار هومة، الجزائر، سنة 2004.

- محمد الصالح الصديق: السراج المنير.

وإننا أثناء إنجاز هذا البحث لاقتنا بعض الصعوبات منها ما يتعلق بالمراجع وإفتقار الجامعة إليها، ولكن كما يقال: "من وجد الله فماذا فقد".

نرجو أن يكون هذا العمل ذا حظٍ في الاستفادة منه وإنّه ما كان فيه من صواب فمن الله وما كان فيه من نقص وزلل فمِن قصر الباعي وضعف الحيلة، وبعد شكر الله عزّوجل على نعمة الظاهرة والباطنة أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذة المشرفة المحترمة "بودالية رشيدة" على تفضّلها بالإشراف على هذا العمل المتواضع.

كما أتقدم إلى الكل بالشكر الجزيل بما قدّموه من يد العون لإنجاز هذا البحث.

وجزى الله الجميـــع خير الجـــزاء والله نســأل أن يلهمنا الرّشد والصـــواب وصلى الله على نبيّنـــا محمـــــد.

الفصل الأول

الفصل الأول

المبحث الأول:

1- ماهية التناص (المفهوم والمصطلح)

2- التعريف بالشاعر

المبحث الثاني:

1- الديوان (لمحة)

2- التائية

التناص لغة: من نص، نصا الشيء: رفعه وأظهره، نقول: نصتُ الحديث أي رفعتُه إلى صاحبه.[1] وقال عمور بن دينار: ما رأيتُ رجلا أنص الحديث من الزهري أي أرفع له وأسند.[2] والنص أصله منتهي الأشياء ومبلغ أقصاها،[3] والنص مصدر وأصله أقصى الشيء الدال على غايته أو الرفع والظهور ونص كل شيء: منتهاه.[4] فالنص إذن الرفع و الظهور والمنتهى، والتناص: إزدحام القوم،[5] مضايقة بعضهم بعضًا في مكان ضيّق وتدافعهم في حلقة تجمعيّة واحدة، ونصص المتاع: جعل بعض فوق بعض.[6]

التناصص: مصدر الفعل على زنة تفاعل،[7] أي المشاركة والمفاعلة والتعدية ومنه: "تصصت: إذا جعلت بعضه على بعض ومنها ينصهم أي يستخرج رأيهم ويظهره، ومنه قول الفقهاء: نص القرآن ونص السنة، أي ما دلّ ظاهر لفظها عليه من الأحكام"[8]

وبهذا فالتناص في اللغة العربية هو المنتهى والرفع والإظهار والمفاعلة في الشيء مع المشاركة والدلالة الواضحة والاستقصاء.

---

[1]- أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، مؤسسة الرسالة، ط2، ج3،سنة 1986، مادة ن، ص 843.

[2]- الموسوعة الشعرية (CD) ، الإصدار الأول.

[3]- المرجع نفسه.

[4]- أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، 843/3.

[5]- أحمد رضا، معجم متن اللغة، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1960، ص 472.

[6]- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، دار العودة، أسطمبول، تركيا، 1989، 926/1.

[7]- ابن منظور، لسان العرب، تحقيق مجموعة من الأساتذة، دار المعارف، مصر، 442/6.

[8] - ينظر عبد الواحد لؤلؤة، من قضايا الشعر العربي المعاصر، التناص مع الشعر العربي، مجلة الوحدة، س6، ع/83/82 يوليو، أغسطس، 1991، ص 14.

اصطلاحا:

إذا ما انتقلنا لمفهوم التناص ونشأته في النقد العربي، نجده مصطلحا جديدا لظاهرة أدبية ونقدية قديمة، فالمتأمل في طبيعة التأليفات النقدية العربية القديمة يعطينا صورة واضحة لوجود أصول لقضية التناص فيه ولكن تحت مسميات أخرى وبأشكال تقترب من المصطلح الحديث حيث أوضح محمد بنيس ذلك وبين أن الشعرية العربية القديمة قد فطنت لعلاقة النص بغيره من النصوص منذ الجاهلية، وضرب مثلا بالمقدمة الطللية والتي تعكس شكلا لسلطة النص وقراءة أولية لعلاقة النصوص ببعضها والتداخل النصي بينها. وهذا ما أحس به شعراؤنا القدامى خاصة في مطالعهم الطللية أنهم يكرّرون موضوعات ومعاني بعينها وأن معجمهم الفني يكاد يكون واحدا من الوقوف والبكاء وذكر الدّمَنِ، و هذا إنما يفتح أفقا واسعا لدخول القصائد في فضاء نصّي متشابك.[1] فنقادنا القدامى فقد تفطنوا لوجود مقاربة لفظية في نقدنا القديم فيقطين يرى «أن النص ينتج ضمن بنية نصية سابقة، فهو يتعالق بها ويتفاعل معها تحويلا أو تضمينا أو خرقا»[2]

[1]- ينظر: عبد الملك مرتاض، بنية الخطاب الشعري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،سنة1991، ص 175 وما بعدها.

[2]- سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت ط1، سنة1989، ص 98.

لأن الشعراء في القديم يشترطون على الشاعر لا يكون شاعرا فحلا متمكّنا إلاّ إذا حفظ لفحول الشعراء فمن "قل حفظه للأشعار الجيدة لا يكون شاعرا، إنما يكون ناظمًا وساقطا"[1]

إذا ما تتبعنا أصول التناص في نقدنا القديم نجد أن الموازنة التي أقامها الآمدي بين أبي تمام والبحتري وكذا البساطة بين المتنبي وخصومه للجرجاني تعكس شكلا من أشكال التناص.[2]

كما أن حديثُ نقادنا القدامى عن تداخل النصوص يدور حول قضية السرقات الأدبية. فالسرقة كما يقول جيرار جنيت: «صنف من أصناف التناص»[3] وبهذا أمكن لنا اعتبار سرقات البحتري من أبي تمام للنصي والإبانة عن سرقات المتنبي للحميدي نوعا من التناص، وهذا ما يدل على تأصّل ظاهرة التناص في الشعر العربي، فالتناص إذا في نقدنا العربي مرّ ببدايات غنية تحت مسمّيات نقدية تناسب عصوره القديمة وعاد من جديد للظهور متأثرا بالدّراسات اللسانية الغربية الحديثة مستقل له أصوله ونظرياته وتدعياته، فقد حظي باهتمام كبير لشيوعه في الدّراسات النقدية الغربية نتيجة للتفاعل الثقافي وتأثير الأدب الغربي

[1]- نور الدين السيد، الأسلوبية وتحليل الخطاب الشعري، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، سنة1997، 118/2.

[2]- إيمان الشنيني، التناص (النشأة والمفهوم)، العدد 38،سنة 2003 ،ص 2.

[3]- المرجع نفسه، الصفة نفسها.

على الأدب العربي، وكانت دراسة التناص في بدايتها قد اتخذت شكل الدراسة المقارنة وانصرفت عن الأشكال اللفظية والنحوية والدلالية.[1]

فكان لهذه الدراسات الغربية صدى واسع في مجال النقد العربي، إذ ظهر نقاد عرب سعوا إلى إعطاء تعاريف جديدة لهذا المصطلح، فدخلوا في إشكالية المصطلح نتيجة لاختلاف الترجمات والمدارس النقدية، فمحمد مفتاح يسميه "**التعالق النصي**" ويعرفه: «التناص هو تعالق-الدخول في علاقة-نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة»[2] ويرى يقطين «أن الاقتباس والتضمين والاستشهاد مفاهيم يشتمل عليه التعالق النصي»[3] وهو ما يذهب إليه أيضا علوي الهاشمي في كتابه "ظاهرة التعالق النصي"[4] وأما محمد بنيس فقد استبدل مصطلح "التناص" بمصطلحات جديدة منها مصطلح "التداخل النصي" كتابيه "الشعر المعاصر في المغرب" و "حداثة السؤال" وهذا ما ذهب إليه حسن محمد حماد في كتابه "تداخل النصوص في الرواية العربية"[5]

أما محمد الزعبي فقد عرّف التناص بأنه: «أن يتضمن نص أدبي ما نصوصا أو أفكارا أخرى سابقة عليه عن طريق الاقتباس أو التضمين أو الإشارة أو ما شابه ذلك من المقروء

---

[1]- إيمان الشنيني، المرجع السابق، الصفحة نفسها.

[2]- إيمان الشنيني، المرجع السابق، الصفحة نفسها.

[3]- سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، ص 316.

[4]- ينظر: علوي الهاشمي، ظاهرة التعالق النصي في الشعر السعودي الحديث، مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض،سنة 1998، ص21 وما بعدها.

[5]- ينظر: حسن محمد حماد، تداخل النصوص في الرواية العربية، ص 39 وما بعدها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،سنة 1998 ،. ص 39 وما بعدها.

الثقافي لدى الأديب بحيث تندمج هذه النصوص أو الأفكار مع النص الأصلي لتشكل نصا جديدا واحدًا متكاملا»[1] فكل نص هو إناء يحتوي بشكل أو بآخر أصداء نصوص أخرى وهذا ما يسميه عبد الله الغذامي "بتناص النصوص"، النص ابن النص،[2] فالتناص إذن أمر لا مفر منه وهو موجود في كل نص شعري.

نظرية التناص رغم نشأتها في الغرب، من النظريات التي استفاد منها النقد العربي، فقيمة هذه النظرية لا تنهض فيما تقدمه من قراءة جديدة للنص فحسب، بل في الدور الذي تؤديه لتخليص بعض المناهج النقدية من العقم الذي أضحى يهدّدها، إذ استطاعت أن تكسر الحاجز الذي أقامته البنيوية حول النص، حين رفضت كل ما هو خارج عليه، وانشغلت عن تأدية وظيفة الوسيط بين النص والمتلقي بأمور أخرى.[3]

وبهذا وجدنا النقاد العرب بذلوا جهودا مستفيضة لأجل إيجاد مفهوم واضح ودقيق لمصطلح التناص أمثال: (محمد مفتاح، محمد بنيس، عبد الله الغذامي وسعيد يقطين ... إلخ) وغيرهم من حاولوا التنظير والتعريف لهذا المصطلح متأثرين بمن سبقهم من النقاد في الغرب أمثال: (باختين، كريستيفا، أريفي، لورانت وتودوروف ... إلخ).

---

[1]- إيمان الشنيني، التناص (النشأة والمفهوم)، ص 2، 3.

[2]- المرجع نفسه، ص 3.

[3]- مجلة الموقف الأدبي: دمشق، العدد 355، نيسان،سنة 2002، حسان فلاح أوغلي، التناص، اقتحام الذات عالم الآخر، ص1.

وتعاريف هؤلاء النقاد سواء كانوا عربًا أم غربيين، فإنها تصبّ في كون واحد هو أن التناص يمثل «تبادلا، حوارا، رباطا، اتّحاد، تفاعلا بين نصّين أو عدّة نصوص»[1] وينقسم التناص حسب توظيفه النصوص إلى:

التناص الظاهر: ويدخل ضمنه الاقتباس والتضمين ويسمى أيضا التناص الواعي أو الشعوري "الأفقي، السطحي"

التناص اللاشعوري: تناص "الخفاء" ويكون فيه المؤلّف غير واع بحضور نص في النص الذي يكتبه،[2] وهذا ماذهب إليه محمد بنعمارة في كتابه "الصوفية في الشعر المغربي المعاصر".[3]

ولقد اتّخذتُ هذا التقسيم كمنهج في دراستي لتناصات قصيدة ابن الخلوف "تحية المشتاق وتنحية الأشواق" لأبرز جمالية التناص في هذه القصيدة، ومدى اتساع ثقافة الشاعر بحيث كان التناص العمودي "العميق" عنوانا لمبحثي الأول في الفصل التطبيقي (الثاني) والتناص الأفقي "السطحي" عنوانًا للمبحث الثاني في الفصل ذاته (أي التطبيقي).

[1]- عمر أوكان، لذة النّص، أو مغامرة الكتاب لدى بارث، ص29.

[2]- ينظر: إيمان الشنيني، التناص (النشأة والمفهوم) ص، 3.

[3]- محمد بنعمارة، الصوفية في الشعر المغربي المعاصر، شركة النشر والتوزيع، المدارس، المغرب ط1، ص147.

التعريف بالشاعر:

يعتبر ابن الخلوف في رأي من ترجموا له من أشهر الشعراء من ناحية الجودة في الكتابة، وقد عرّف بين أدباء عصره بذي الصناعتين حيث نجده يقول في مقدمة ديوانه «فعندما احتويت على هذه السهام يرد سهام النثر والنظم ادّخرتها للرماية في سبيل القدوس السلام، ولم أجد فيها عرضا أو هدفا يرتضي إلا تحسين وصف سيد الأكوان، ونظم بعض معجزاته التي لا يحصرها حسبان، ولا يحويها ديوان ... وإني لناثر، أو ناظم وصف ما حواه من المحاسن والمفاخر، وقد تترل من القلوب مترلة الضمائر».[1]

فهو من مواليد قسنطينة في الثالث محرم سنة تسع وعشرين وثمانمائة هجري (829هـ-1425م) سافر به أبوه وهو في المهد إلى مكة المكرمة، فأقام فيها أربع سنين ثم تحول به إلى بيت المقدس لمدة تتراوح بين أربع وثلاثين وثمانمائة إلى تسع وخمسين وثمانمائة (834هـ-859هـ)، وهي السنة التي توفي فيها أبوه ثم رحل بعدها إلى مصر، والتي لم يمكث فيها طويلا، ورحل وهو في الثلاثين من عمره إلى تونس حيث استقر بها نهائيا.[2]

وأثناء تواجده في بيت المقدس، حفظ القرآن الكريم، وكتب جمة في فنون مختلفة وبما أن الوالد كان متضلعا في فنون الأدب والفقه، فأخذ بدراسة ما عنده من العلم ثم تركه يمتزج

[1]- ابن الخلوف، جني الجنتين في مدح خير الفرقتين، تحقيق العربي دحو، دار هومة، الجزائر، 2004، ص69.

[2]- ينظر: شمس الدين محمد بن عبد الرحمان السخاوي، الضوء اللامع، مكتبة الحياة، بيروت، مج1، 122/2.

بمشيخة المشرق، فاتصل يومئذ بالشيخ أحمد أبي القاسم النويري ولازمه فأخذ عنه الفقه وعلوم اللغة والأصول وغيرها، وانتفع به كما أنه أخذ روايته في القراءات وعلوم القرآن عن الشهاب بن رسلان وغيرهم، ثم انتقل إلى القاهرة، وربما كان ذلك بعد وفاة والده بالقدس الشريف سنة (859هـ-1455م) وكان من أخذ عندهم العربية ببلاد المغرب: أحمد السلاوي.[1]

وللإشارة فقط أن بعض المصادر والمراجع التي تناولت الشاعر بالبحث جعلتنا نسجل تبيانا بينها في لقب الشاعر: كتابة ونطقا فعند البعض يدعى "ابن الخلوف" وعند البعض الآخر يدعى "الخلوف" وعند البعض الثالث دعي "ابن حلوف" ولكن مهما يكن من أمر فإن لدينا من المصادر والمراجع بما في ذلك شعر الشاعر التي تؤكد أن الشاعر[2] هو: أحمد بن أبو القاسم بن عبد الرحمان بن محمد ابن "الخلوف" لقبا الحميري نسبا، وأنه مغربي الأصل بالمفهوم المغاربي الآن، جزائري الوطن، قسنطيني المولد وعلى العموم فإن ابن الخلوف من أهم الشخصيات المغربية القديمة التي عاشت في الدولة الحفصية، وقد توفي حسب إجماع المؤرخين والكتاب سنة 899هـ بتونس.[3]

[1]- ينظر: عبد الرحمان بن محمّد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،سنة 1995، 94/2.

[2]- ينظر ابن الخلوف،الدوان ،ص12.

[3]- مصدر نفسه ص نفسها .

مصادر ثقافته:

لا شك أن هناك عوامل أسهمت في التكوين الاجتماعي الثقافي للشاعر ابن الخلوف القسنطيني والتي تمثلت في:

1- القرآن الكريم: إذ يعتبر "القرآن الكريم مركز الرؤيا الشعرية ..."[1] فالشاعر من أئمة العربية وخاصة من جوانبها اللغوية وقد ساعده على ذلك ما اشتهر به من ذكاء وحافظة، إذ المتتبع لحياته يجده من أسرة محافظة ترعى الدين، وتعرف حقوقه فلقد بدأ تحصيله العلمي الأوّل "كسائر طلاب عصره بالطرق والوسائل المعهودة والمتوفية لديهم آنذاك كحفظ القرآن الكريم ثم الدخول إلى تلقي علم الأصليين من تفسير وتفقه في الدين ودراية بأصول العربية فحفظ كتبا جمة في فنون، وعرض على جماعة ولازم أبا القاسم النويري في الفقه والعربية والأصول وغيرها حتّى كان جل انتفاعه به"[2] والشاعر "ابن الخلوف" في هذه التائية نجده يستقي من القرآن الكريم في كتابته لهذه القصيدة نتيجة تأثره به.

2-السنة النبوية: يأتي الحديث النبوي في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم من حيث الإشراق (إشراق العبارة) وفصاحة اللفظ فلقد أدرك الشاعر ابن الخلوف أهمية الحديث النبوي فنيا وفكريا، فراح يستحضره في نصوصه وينهل من معانيه، ويعيد كتابته في قصيدته هذه "تحية المشتاق وتنجية الأشواق" وفق ما يتماشى وتجربته الشعرية وما يخدم القصيدة من

[1]- محمد بنعمارة، الصوفية في الشعر المغربي المعاصر، ص 147.

[2]- شمس الدين بن محمد بن عبد الرحمان السخاوي، الضوء اللامع، ص 122.

ألفاظ وعبارات، لأن من أبرز سمات بلاغة الحديث النبوي الإيجاز قال ﷺ «بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالرعب.....» رواه الشيخان.[1]

3- **شعر الزهد:** الزهد هو: «الأعراض عن الشيء احتقارا له من قولهم: شيء زهيد أي قليل»[2] ويقرّر ابن عربي أن "الزهد" من حيث كونه خلق إنساني، يعم الباطن وينعكس على الظاهر، فالزهد خلق للبعد غير متعدي إلى غيره، كما له في باطن الإنسان، وهو من المقامات التي يتصف بها العبد إلى حين موته.[3] فالزهد إذن ترك حظوظ النفس من جميع ما في الدنيا، أي لا يفرح بشيء منها ولا يحزن على فقده ولا يأخذ منها إلاّ ما يعينه على طاعة ربه، أو ما أمر في أخذه مع دوام الذكر والمراقبة والتفكر في الآخرة، وهذا أرفع أحوال الزهد إذ من وصل إليه إنّما هو في الدنيا بشخصه فقط و أما بمعناه فهو مع الله بالمراقبة والمشاهدة لا ينفك عنه،[4] ولذلك قال رسول الله ﷺ «ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس».[5]

---

[1]- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة، بيروت، كتاب الجهاد، حديث 2977، 128/6.

[2]- محمد علي الفاروقي التهناوي، كشاف إصلاحات الفنون، تحقيق الدكتور لطفي عبد البديع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر 1973، 107/3.

[3]- سعاد الحكيم، المعجم الصوفي، د ندوة للطباعة والنشر، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1981، ص 553.

[4]- ينظر: التهناوي، كشاف إصلاحات الفنون، ص 108.

[5]- الإمام يحى بن شرف الدين النوري، شرح متن الأربعين النونية في الأحاديث الصحيحة النبوية، ص 105.

والشاعر ابن الخلوف شأنه في ذلك أولئك الزهاد الذين تركوا الدنيا، وأخذوا بالاكتفاء منها بما يقيم الرمق والإقبال بكنه الهمّة على الله تعالى والانقطاع إليه والقناعة به، والثقة بما عنده والمجاهدة في سبيل مرضاته.

4-**الشعر العربي:** يظل الشعر العربي وعاءً ثقافيا وفكريا يحتوي مختلف الألوان المعرفية الكثيرة كالتاريخ والمعتقدات والسحر والدين، فقد قيل قديما «الشعر ديوان العرب» لأنه يتقاطع مع كل المعارف وهذا التقاطع نعيشه لأن «الشعر كلام يختلف عن غيره من أنواع القول بما ينبني عليه من عدول أو انزياح عن الطرائق المتعارف عليها في التأليف والنظم، ذلك أن الشعراء، وهم حسب الخليل "أمراء الكلام" يتوسعون فيه ويجوزون في الشعر أشياء لا يجوزونها في غيره».[1]

ونجد شاعرنا ابن الخلوف يتحاور مع هذا الشعر ويتقاطع معه، لأنه ابن بيئته، فهو لا ينطلق من فراغ، وهو من المحافظين على عمود الشعر والمتمسكين بعرفه التقليدي، فشعره يخضع لعدة عوامل تعرّضت لها حياته "عوامل ذاتية ومعنوية" فهو قد نشأ نشأة تقليدية على عادة شعراء عصره، حيث بدأ تحصيله العلمي بالطرق والوسائل المعهودة في تلك الفترة، كحفظ القرآن وتعلم علوم التفسير والفقه والسنة النبوية، وكل ما يتعلق بأصول الدّين إلى جانب حفظ الشعر العربي، فالعرب قديما يشترطون على أن الشاعر لا يكون شاعرا إلاّ إذا

[1]- محمد لطفي اليوسفي، الشعر والشعرية، الفلاسفة والمفكرون العرب، ما أنجزوه وما هفوا إليه، الدّار العربية للكتاب،سنة 1992، ص49.

كان حفاظة للشعر وراوية له ومن لم يكن رواية لأشعار العرب تبين النقص في صناعته.[1] وإن دلّ هذا فإنّما يدل على إنعكاس الظروف الخارجية على الشاعر لا سيما ما تعلق بما سبق إليه الإشارة من نشأة تقليدية وثقافة وغيرها له أثر في إجادة الشعر أو عدمه.

الديوان:

لابن الخلوف ديوان يتكون من جزأين اثنين، وما يهمّنا نحن في هذا البحث هو الجزء الثاني منه والذي حققه العربي دحو تحت عنوان "جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين" والذي ضمّنه تائيته، كما عنونه بعض المترجمين للشاعر "ديوان الإسلام"[2] وكل قصائد ديوانه خاصة بالمديح النبوي وقد رتبها بحسب فترة نظمِه لها، مع ذكر عناوين القصائد وعددها اثنتان وثلاثون (32) قصيدة، وأقل القصائد فيها تجاوزات أبياتها ستا، وهو قليل جدا، لا تتجاوز ثلاث قصائد، كما أن أطولها قد بلغ خمسمائة وثلاثة عشر بيتا، وإذا قسّمنا عدد مجموع الأبيات على مجموع القصائد نجد معدّل القصائد بلغ سبعة وثمانين مائة بيتا (187) أو أكثر بقليل وهذا ما يستنتج منه أن كل قصائده من المطوّلات في الشعر المغربي.[3]

وتأتي في مقدمة ديوانه "الرائية" التي مطلعها:[4]

---

[1]- أبو هلال العسكري الحسن عبد الله بن سهل، الصناعتين، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة،سنة 1965، ص144.

[2]- العربي دحو، ابن الخلوف وديوانه جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين، (المعروف بديوان الإسلام) ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،سنة 1993، ص41.

[3]- المرجع نفسه، ص 59-60.

[4]- ابن الخلوف، الديوان، ص73.

عليـــكَ توكلي ولك افتقـــاري ومنك تطلـــبي وبِكِ انتصـــاري

وفيــك محبتي واليك أمـــدي وهـل الاّك قصدي واختيـــاري

ثم تأتي بعدها "الميمية" فالقصائد الأخرى، وكلها تدور حول موضوع واحد أو مشترك وهو المديح النبوي فلقد "كرّس شعره للمديح النبوي[1] وتناول كل ماهو عربي إسلامي، وهذه المدوّنة عبارة عن موسوعة من التاريخ الإسلامي، الذي يخص فترة الرسول ﷺ في مكة والمدينة المنورة وغيرها، من الأماكن المقدسة.

وقد وضع ابن الخلوف لهذا الديوان "جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين" مقدمة نثرية شيّقة في أسلوبها، فحدّد فيها محتوى الديوان ومنها قوله متحدثا عن الرسول ﷺ: «والمطهر من أدرانِ الآثام شفاعته التي هي أنْفَسُ مدّخر، وأجّلُّ مرغوب، وأيم الله، لقد دعا إلى الله على بصيرة و أتى بما أصبحت له الصدور مشرحة، وأمست به العيون قريرةٌ ...»[2]

ولعل العبارات التي أوردها ابن الخلوف في هذه المقدّمة بقلمه توضّح بجلاء ما يحويه الديوان، فالمقدّمة إذا خلاصة جامعة بجلاء لمحتوى الديوان، تغني الدارس العابر عن

[1]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2،سنة 1985، ج1، ص103.

[2]- ابن الخلوف، ديوان جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين، تحقيق العربي دحو، دار هومة الجزائر،سنة 2004، ص64-65.

البحث في موضوعاته عن طريق تتبع القصائد التي احتواها، كما يؤكد أيضا على وحدة الموضوع في هذا الديوان والمتمثل في المديح النبوي.[1]

ومن العناوين التي جاءت في الديوان نذكر مثلا: "قطر الغمام في مدح خير الأنام"، قرع باب الفرج"، تحفة اللبيب وسلوةُ الكئيب"، "زهرة المتنشق وزهرة المتعشق" ... إلخ.

كما أن ابن الخلوف في ديوانه تناول الموضوعات ذات الأغراض التالية:[2] النسب النبوي - التحذير من هوى النفس – مدح الرسول – التحدث عن القرآن الكريم –التحدث عن الإسراء والمعراج – التحدث عن جهاد الرسول ﷺ وغزواته – التحدث عن معجزاته، ولعل الشيء اللافت للانتباه أنّه من الغريب في الأمر أن ابن الخلوف قد خصّ ديوانا كاملا في محدة الموضوع.

التائية «تحية المشتاق وتنجية الأشواق»

إن تائية ابن الخلوف التي تتجاوز الثلاث مائة وثمانية بيتا شعريا (308 بيتا)، تعتبر من القصائد المغربية الطويلة والتي تعد ملحمة، لما فيها من سرد تاريخي وأفكار عالية عبّر عنها بلغة قوية جزلة مع الإيغال في الحكمة وحمل لقيم الأمة الإسلامية وتفكيرها فكانت خلاصة للروحانيات المدحية في المغرب العربي، فهذه القصيدة نص شعري يقوم على

[1]- عبد الحكيم حسان، التصوف في الشعر العربي، ص 372-374.

[2]- العربي دحو، ابن خلوف وديوانه "جني الجنتين في مدح خير الفرقتين"، ص111، 112.

تبادل الأدوار عن طريق التفاعل النصي، فهو يقوم على "وحدة الحب العميقة" حب رسول الله ﷺ لأنه «من حدد سبيل الهداية وأزاح عن البصائر غشاء الغواية»[1]

ولقد بنى الشاعر قصيدته بناء تقليديا على بحر الخليل بن أحمد وهو "البسيط" والذي التزمه الشاعر ابن الخلوف التزاما كاملا، كما كان المطلع غزليا مصرّعا على عادة القدماء، فكان غزلاً عفيفا في الكثير من الأوصاف العربية المحبوبة في المحبوبْ، كما وظف فيها مصطلحات النحويين والعروضيين ... إلخ.

ولا شك أن للعنوان الذي وضعه ابن الخلوف لتائيته مدلولاً وراءهُ «فالعنوان بالنسبة للنص كالأم بالنسبة للطفل تطعمه في كل حين ومن شأن هذا التطعيمْ أن يزيد في اتساع النص وتمطيطه فهو المحور»[2]

والبنية الدلالية التي بين أيدينا "تحية المشتاق وتنجية الأشواق" لا شك أن لها كيانا في الواقع التغييري، فهي جملة اسمية تتركب من شقين: "تحية المشتاق+تنجية الأشواق)

فالشّق الأول خبر لمبتدأ محذوف تقديره "هذه تحية المشتاق" فحذف المبتدأ جوازا ويبقى الخبر (تحيّةُ) متصدرا للكلام لأنه المقصود، فكلمة تحية صفة الشاعر التي وضّحها بإضافتها إلى "الاشتياق" أي الشوق والتحية هي السّلام، هي الأمن، مما يضفي عليها قوة أخرى في الأمن لأن المشتاق العاشق لا يُضمِر إلا الخير لمحبوبه، ثم يلي هذه الجملة

[1]- الشيخ محمد الخضري، نور اليقين في سيد المرسلين، دار الحضارة للطباعة والنشر، ط2،سنة 1986، ص264.

[2]- ينظر: بسام قطوس، سيمياء العنوان وزارة الثقافة، مطبعة البهجة، عمان،سنة 2002م، ص41.

التائية المعطوفة على الأولى والتي توحي بأن هذه التحية وسيلة وسبب من تنحيته الأشواق من الانحراف والضلال ... إلخ.

كما أن العنوان بثنائية يشير إلى ثنائية الفكر في القصيدة، الفكرة ونقيضها.

وكما هو معلوم أن التعبير بالجملة الاسمية يفيد ثبوت لمعنى والصفة للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئا بعد شيء على نقيض الفعل الذي يقتضي مزاولة المعنى أو تجدد الصفة واستمرارها وحدوثهما حالا بعد حال.[1]

فالعنوان إذا قصدي مناسبا مفسر لمضمون القصيدة.

[1]- تامر سلوم، نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا.ط1،سنة 1983، ص141.

الفصل الثاني

الفصل الثاني

المبحث الأول: التناص العمودي (العميق)

1- تمهيد

2- التناص العمودي مع القرآن الكريم

المبحث الثاني: التناص الأفقي (السطحي)

1- تمهيد

2- التناص الأفقي مع الحديث النبوي الشريف

التناص العمودي "العميق":

تمهيد:

إن هذا التناص هو ذلك النوع الذي لا يعني ما يبدو واضحا لأن هذا التناص «نتاج مفهوم عميق، ينبني هاجسه على أساس انتقال الذات الشاعرة بوجدانها، وميولها وحركيتها إلى النص الذي تتجلى فيه مختلف المراجع الروحية والذوقية والجمالية المكونة لتلك الذات المبدعة. إن تجليات النص الشعري الرؤيوي تتجسد في الافتنان اللغوي عن طريق البحث عن اللغة العليا التي تساند لغة الشعر وتمدها بأبعاد التعبير الشاعري».[1] حيث يلتجئ كثير من الشعراء المعاصرين إلى هذا النوع من التناص في الشعر الذاتي والشبيه بالشعر الملحمي عن طريق الاستدعاء أو عن طريق القناع أو الرمز أو الأسطورة، ونحن في هذا المبحث سنُولي الاهتمام بهذا النوع من التناص ما تعلّق منه بالقرآن الكريم من خلال قصيدة "تحية المشتاق وتنجية الأشواق" فالمتأمّل لهذه القصيدة يجد أن الشاعر يستمد أفكاره ورؤاه من القرآن الكريم ويستحضر بعض آياته في سياقات مختلفة، وهذا ما سنبينه من خلال هذا المبحث.

[1]- محمد بنعمارة، الصوفية في الشعر الغربي المعاصر، شركة النشر والتوزيع المدارس، المغرب، ط1،سنة 2001م، ص147.

التناص العمودي "العميق"

أولا: التناص مع القرآن الكريم: لقد شكل القرآن الكريم بفضل فصاحته وبلاغته التي تحدى بها الله تعالى فصحاء العرب، نصا مقدّسا ومصدرا إعجازيا أحدث ثورة فنية على معظم التعابير التي ابتدعها العربي شعرا ونثرا، وقد سعى إليه الشاعر في تناصاته لترقية أبعاده اللغوية والفكرية، لأنه العروى الوثقى التي يتمسك بها، ونحن إذ نتأمل قصيدة "تحية المشتاق وتنجية الأشواق" «نحاول قراءتها واستنطاق حروفها وكلماتها، يتبين لنا بوضوح محاورة النص الغائب، المتمثل في القرآن الكريم، ومدى العلاقة المتشابكة بين النص الغائب ونصنا الحاضر، فالتناص القرآني يجعل الشاعر يميل بلغته الشعرية صوب آفاق التحليق بواسطة الإشارة و الإيحاء ... فالإرادة القرآنية تغني النص الشعري وتكسبه كثافتة التعبيرية، وتعطيه تطابقا بين وظيفة الإشارة وسياق المعاني.

1

كما أن للقرآن الكريم مكانته في نسيج قصيدة المديح النبوي «عن طريق التآلف بين لغة القرآن ولغة الشعر والانسجام بين الموضوع الشعري ومعادلة المضمون القرآني»[2]

أحاول في هذه القصيدة أن أحصر دراستي في إثبات وجود النص الغائب في ثنايا هذه القصيدة وهذا يستلزم مني استنباط النص الحاضر للعثور على إيحاءات النص الغائب وهذا

[1]- محمد بن عمارة، الصوفية في الشعر العربي المعاصر، ص 10.

[2]- المرجع نفسه، ص155.

يستدعي مني التأويل الذي لا يكترث كثيرا بظاهر النص الحاضر، لأن الشاعر يريد الوصول إلى مبتغى معيّن من كل هذا، حتى نقع معه في ذلك التناص أي مع القرآن الكريم الذي يستحضرها بقول ابن الخلوف.[1]

يقول ابن الخلوف:

أضلني بثنايـــــاه ومن عجـــب إن النـــــجوم بها ترجى الهدايـــــات

إن أو ما يصادفنا في هذا البيت التخالفي وبالأحرى تناص إشاري إلى الآية الكريمة ﴿وعلاماتٌ وبالنجم هم يهتدون...﴾[2]، إذ جعل الشاعر النجوم هي التي تهتدي بها عوض أن يهتدي الإنسان الجائر الضال بالنجوم وهو تناص إشاري بتقنية التحالف إذ يوحي بمدى الجمالية الفنية التي آمن بها الشاعر، وجعلها من باب التشبيه المقلوب.

وفي هذا التناص إيحاء بعلاقة الليل بالجمال عن العرب وماله من دلالات و أبعاد نفسية لتصوير المحبوب، لأن الليل يسكن فيه الناس وتسكن فيه الحركة لأن «الليل لا يعطي للناظر في نظره، سوى نفسه فهو يدرك ولا يدرك به»[3]

ولا يزال الشاعر يبدع لحظات إيمانية مضيئة بصفاء القرآن ولا يجد سوى الملجأ القرآني ليستل منه عبارات وألفاظ تشكل دلالات تحاورت مع الدلالات التي قبلها.

---

[1]- ابن الخلوف، ديوان جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين، تحقيق: العربي دحو، دار هومة، الجزائر، ط1، سنة2004، ص316.

[2]- النحل/16.

[3]- سعاد الحكيم ، المعجم الصوفي ، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، سنة 1981 ،ص1009.

يقول ابن الخلوف:

قالوا: هي الروح، قلت: الروح تعشقهـــا وكيف لا ولها منـــــها امتـــــدادات

قالوا: هي النور، قلت: النور ما صنعت منها زجاجاتـــها الغر النفسيـــــات

قالوا: هي النار، قلت: النار تطفئهـــــا بالما هذه لهـــا بالما استعـــــارات

قالوا: هي اللوح، قلت: اللوح قد رسمت فيه لأسمائـــها طرق خفيـــــــات

قالوا: هديت هي الكرسي، قلت لهـــــم لنـــور مصباحها الكرسي مشكـــــاة

ففي هذه الأبيات يعانق الشاعر آيات القرآن الكريم، فانعكس ذلك على الجانب اللغوي ويظهر لنا هذا جليا في المفردات القرآنية (الروح، النور، المصباح، النار، اللوح، مشكاة) فقد تكررت في هذه الأبيات فيعطيها ابن الخلوف بعض الدلالات القوية ولكن لا تخرج عن سياقها المعروف عند الشاعر، فرغم التحول والتغيير الذي أحدثه إلا أن المعنى كان متآلفا مع قوله تعالى: ﴿ويسألونك عن الرّوح قل الرّوح من أمر ربي﴾[1]

وقوله تعالى: ﴿الله نور السموات والأرض، مثلُ نوره كمشكاة فيها مصباح، المصباح في زجاجة، الزجاجة كأنها كوكبٌ درّي يوقد من شجرةٍ مباركةٍ زيتونةٍ، لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نارٌ نور على نور ...﴾[2]

[1]- الإسراء/ 85.

[2]- النور/ 35.

وقوله أيضا: ﴿ في لوح محفوظ ...﴾[1]

ويواصل الشاعر في محاورة النص القرآني عن طريق البنية اللفظية إذ يقول:[2]

ذات الجمـــال جمال الذات عنصـــره مصبـــاح نور له الجيمان مشكـــاة

نور الجلال، جـــلال النور طينتـــه ياكـــــم سقتها من التنسيم فيضـــات

في هذه الأبيات تنعكس معاني الآيات القرآنية من قوله تعالى: "مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ...."[3] وقوله أيضا: "ولكل فيها جمال ..."[4] وقوله أيضا: "ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ...."[5] وقوله: "ومزاجه من تنسيم ..."[6]

ومن هذا نقف أمام معاني هذه الألفاظ التي التي استقاها الشاعر من القرآن الكريم: الجمال والنور والمصباح والجلال والمشكاة والتنسيم.

فإن هذه الأبيات تراكمت فيها إيضاءات قرآنية نتيجة عوامل داخلية أنشأ الشاعر عليها أو تحت ظروفها الموضوعية مما يكشف لنا عن نية هذا النص الخصوصية وسيقاته وارتباطاته وتواصله مع القرآن الكريم.

---

[1]- البروج/22.

[2]- ابن الخلوف، الديوان، ص337

[3]- النور/ 35.

[4]- النحل/06

[5]- الرحمان/ 27.

[6]- المطففين/27.

يقول ابن الخلوف:

دعاه في ليلة المعـراج خالقـــه لحضرة حضرت فيهـــــا السعـــادات*

وسار من فرشــه فوق البـــــراق إلى العـــــــرش أحاطته للباري عنايات

وكان قابا قوسين أو أدنى حيـــن خاطبـــه في مشهد رفعت عنه الحجابات

وشاهد الله جهرا واصطفاه بمـــا لـــم تحوي تعبير معنـــــاه العبارات

إلـــــــى أن يقـــــــول:

دعاه في مسراه لمضجعـــــه والأفق لم تنكشف عنـــه الدجنـــــات*

فالشاعر في هذه الأبيات يتناص مع النص القرآني عن طريق البنية اللفظية التي حافظ على هندستها، وعلى مستوى البنية الدلالية، أين حاول أن يصف ليلة الإسراء والمعراج بكل تفاصيلها مستلهما هذه الصفات من القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ....﴾[1] وقوله أيضا: ﴿ثم ندى فتدلى، فكان

* - السعادات: ماتم تكليفه به الرسول ﷺ في ليلة الإسراء والمعراج كالصلاة.

* - الدجنات: الظلام أو طبقات السحب، والمراد هنا الظلام.

[1] - الإسراء/ 01.

قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى، ما كذب الفؤاد ما رأى، أفتُمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة أخرى، عند سدرة المنتهى ...﴾[1]

فهذه الآيات الكريمة تبين كيف أن الله سبحانه وتعالى أسرى بعبده النبي صلى الله عليه وسلم ليلا ليرفعه إلى السماء فيرى من العبر وعجائب الخلق وما فيه من أدلة القدرة الباهرة.[2]

ولا يزال الشاعر يتعايش مع النصوص القرآنية ويتقاطع معها ليأخذ معاني ودلالات مختلفة يقول:[3]

هـو الســـــراج المنير المستضـــــاء به لذاك زيح بـــــه ظلم وظلـــــمات

فالمتأمل لهذا البيت الشعري يجده يتقاطع مع أي القرآن في قوله تعالى: ﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا ...﴾[4] وقوله أيضا: وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ...﴾[5] وقولهّ أيضا: ﴿يخرجهم من الظلمات إلى النور...﴾[6]

ويتضح لما جليا من خلال هذه الآيات السالفة الذكر والآيات القرآنية علاقة محاكاة من ناحية اللفظ والمعنى معا، إذ الشاعر يكتب بلغة جزلة يحاول أن يستلهمها من النص

---

[1]- النجم/ 7، 8، 9، 10، 11، 12، 13، 14.

[2]- محمد حسن الحمصي، قرآن كريم، تفسير وبيان مع أسباب النزول للسيوطي، دار الرشيد، دمشق، ص17.

[3]- ابن الخلوف، الديوان، ص 331.

[4]- الفرقان/ 61.

[5]- الأحزاب/ 46.

[6]- البقرة/ 257.

القرآني الذي لا يوجد أبلغ وأفصح وأعجز منه فالتفاعل إذن مع النصوص القرآنية، وإعادة بعثها من جديد في القصائد الشعرية إنها بعثت للقيم التي حاول الإنسان طمسها عبر الزمن.

إن التناص مع القرآن في هذه التائية هو لون من استدعاء آياته ومشاهده وامتداده للحاضر في الماضي، مما يكشف لنا عن مكامن وركائز ثقافة الشاعر، فهو يتكئ على القرآن الكريم من جهة ومن جهة ثانية يلفت نظرنا إلى جمال القرآن الكريم وجلال عظمته قائله الرب سبحانه وتعالى، فكان النص القرآني بذلك المعين الذي استقى منه معظم هذه التائية.

التناص الأفقي "السطحي":

تمهيد:

إن هذا النوع من التناص يأخذنا إلى عملية كشف عن العلاقة الموجودة بين نص الكاتب "القصيدة" الذي نحن في دراسته واستدعائه لها مهما كان لون هذا الاستدعاء وما إلى ذلك من التناص الأفقي الذي «ينطلق فيه هاجس الإنجاز من صناعة اللفظ والمعنى وحسن اختيارهما، والاهتمام بالنظم وتجنب عيوبه، وسقطاته والإتيان بالمعاني القوية والصور

الحية»[1] وذلك من أجل "اكتشاف العلاقات التي عقدتها نصوص الكاتب بعضها مع البعض والتي تكشف بدورها عن الخلفية النصية التي يتعامل معها الكاتب"[2]

في دراستنا لهذه القصيدة سنحاول أن نكشف التناص الأفقي "السطحي" مع نص معجز ثان ألا وهو الحديث النبوي الشريف.

التناص الأفقي السطحي:

التناص مع الحديث الشريف: الشاعر في قصيدته هذه "تحية المشتاق وتنجية الأشواق" يتقاطع مع نص معجز ثان والمتمثل في الحديث الشريف لأنه استحضره في نصه الشعري وأعاد كتابته وفق تجربته الشعرية منطلقا من ثقافته، ليؤكد وحدة شخصيته، فكانت نصوصه نقطة تشابك للكثير من النصوص الحضارية المقدسة الدالة على وعيه العميق بما جاء به نبي الهدى. وهذا الاستمداد من الذاكرة أفصح عنه الشاعر طرحة في نصه يقول: [3]

يا أس عارضـــــــــة في ورد وجنته هل زخـــــرفت بك في النيران جنــات

المتأمل لهذا البيت يجد الشاعر يعاني ألم يعاني ألم الحب والصبابة وحرقة البعد، وما يلاقيه من عوارض وحواجز في سبيل الوصول إلى الحبيب، ويتساءل بذلك هل زخرف له في النيران جنات؟ فهو يتقاطع في هذا البيت مع حديث الرسول ﷺ حيث روى الشيخان عن أبي

[1] - محمد بنعمارة، الصوفية في الشعر المغربي المعاصر، ص147.

[2] - رولان بارث، نظرية النص، ترجمة منجي الشملي وعبد الله صولة ومحمد القاضي، حوليات الجامعة التونسية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، عدد 27،سنة 1988، ص81.

[3] - ابن الخلوف، الديوان، ص، 318.

هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿حفت الجنة بالمكارة، وحفت النار بالشهوات﴾[1]

طريق الجنة وعر كثير العقاب، شديد المشتاق، وطريق النار أحيط بكل ما يوافق النفس ويلائمها من الشهوات، وهذا يعني أن الطريق إلى الجنة يتلخص في تهوين شأن الدّنيا وأرخاص الحياة فيها وتعظيم شأن الآخرة وإعزاز الحياة فيها.[2] وهذا ماذهب إليه الشاعر أيضا، فكانت محاورته لنص الحديث، تكمن في استدعاء الدلالات الخفية الكامنة فيه وتوظيفها في قصيدته وفق ما يلائم حالته النفسية. فكان بذلك تناصا تآلفا مشى وفق النصين الحديث النبوي والقصيدة، وُلِدتَ عنه حالة إنسانية تتصارع في الشاعر نزعتان، نزعة ترابية تشدّه إلى الأرض ونزعة روحانية ترفعه إلى السماء لا ترى في هذا الجمال الدنيوي إلا شهوة حفت بها النار.

تبقى قيمة هذا النص المعجز الغائب والحاضر في الوقت نفسه في ذهن المتلقي بطريقة محافظة ولعل هذا يعود إلى محافظة الشاعر على دينه وأصول تعامله مع هذا النص المعجز، ونرجع إلى القصيدة ونلحظ التناص المختلفة مع الحديث النبوي التي ضمنها الشاعر إذ يقول.[3]

---

[1]- أي ونسنك، المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، مكتبة بريل في مدينة لندن،سنة 1936، 479/1، وكذلك: النووي رياض الصالحين، ص 170، 171.

[2]- ينظر: محمد الصالح الصديق، السراج المنير، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1،سنة 1999، ص126.

[3]- ابن الخلوف، الديوان، ص 322، 323.

حبـــــذا زمـن الإحـــــترام حيث حلت للمحرمين بلبيـــــك المنجـــــــاة

وحبذا العيش في أكتـــــــاف مـــــكة طابت لنا بمنى والحيف ســــــاعات

وحبذا عرفات الخيـــــر حين همـــت بوابـــل العفو للعاصي سحابـــــــات

حيـــث الحبيب نديم والمقام حـــمى والـــــــراح في كأسها نفي وإثبـــات

إنّ أول ما يصادفنا في هذه الأبيات هو كلمة "حبذا" المتكررة والدالة على التمني والحنين والشوق، فالشاعر يتحرق شوقا لزيادة هذه الأمكان المقدسة أثناء الإحرام، فيذكر مكة، منى، حيفا، عرفات ... واستحضار هذه المعالم الدينية تبين لنا مكانة هذا البلد الآمن الذي يأتيه الناس من كلّ فج عميق، فيتطهرون من الرذائل، ويعانقون بأرواحهم ذلك المكان الروحي الذي يبعث في أنفسهم الأمان والطمأنينة.

فالأبيات إذن توحي بالتشويق والحنين ... إلخ لأن الشاعر في مناجاة دائمة للوصول إلى الحبيب الساكن في هذه الأماكن المقدسة، فينساب بذلك بمشاعره عبر شعائر الإسلام، فكان تناصا مع سنته ﷺ، حيث روي البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ أي العمل أفضل قال: ﴿الإيمان بالله ورسوله، قيل ثم ماذا قال الجهاد في سبيل

الله، قيل ثم ماذا؟ قال حج مبرور﴾.[1] وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أيضا قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: ﴿يا أيّها الناس قد فرض عليكم الحج فحجّوا﴾[2]

وتقدم حديث الشيخين ﴿بني الإسلام على خمس وعد الحج﴾[3] كما روي الشيخان عن أبي هريرة أيضا قال: قال رسول الله ﷺ ﴿من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمّه﴾[4] وروى الشيخان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى عليه وسلم ﴿العمرة إلى العمرة كفارة بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلاّ الجنة﴾[5]

فالتشوق إلى الحج والحنين لزيارة أماكنه المقدسة، فهو يسرع إلى نهج الرسول ﷺ، فكان تناصا تآلفيا من ناحية بناء المعنى، حيث ضمن الشاعر أبيات قصيدته معاني هذه الأحاديث، ثم بعد هذا سنسافر مع الشاعر في استدعائه لرحلة الإسراء والمعراج يقول:[6]

دعاه في ليلة المعراج خالقـــــــــه لحضرة حضرت فيها السعـادات

وسار من فرشه فوق البـــــــراق إلى عرش أحاطته للباري عنايـــــات

وأم بالرسل والأمـــــــــلاك ثم رقـــى مرقى له العز والتأييد مرقـــــــاة

---

[1]- يحي بن شرف الدين النووي، رياض الصالحي، لاختصار الشيخ النبهاني، مكتبة النهضة، الجزائر، ص82.

[2]- ينظر: يحي بن شرف الدين النووي، شرح متن الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة، عبد ابن إبراهيم الأنصاري، منشورات المكتبة العصرية بيروت، ط ج،سنة 1998، ص27.

[3]- المرجع السابق، الصفحة نفسها.

[4]- يحي بن شرف الدين النووي، رياض الصالحين، ص82.

[5]- المرجع نفسه الصفحة نفسها.

[6]- ابن الخلوف، الديوان، ص 330.

وصار مخترقا حجب الجـــــــلال إلى أن شرفته ياعبدي الإضافـــــــات

إلـــــــــى أن يقـــــــــول:

ناداه سل تعطى أو قل يستمع كرمـــــا واشفع فلولاك لم ترج الشفاعـــات

وعاد في ليل مســـــراه لمضجعـــــه والأفق لم تنكشف عنه الدجانـــات

فهذه الأبيات تدل دلالة واضحة على إعادة الشاعر لكتابة النص الغائب وتوظيفه توظيفا فنيا بطريقة الامتصاص حيث روى عن أنس بن مالك قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ففرج عن سقف بيتي، وأنا بمكة فنزل جبريل، ففرج صدري، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا فأفرغه في صدري، ثم أطبقه ثم أخذ بيدي، فعرج بي إلى السماء الدّنيا، فلما جئت إلى السماء الدّنيا قال جبريل لخازن السماء: افتح، قال: من هذا؟ قال: جبريل قال: هل معك أحد، قال: نعم معي محمد صلى الله عليه وسلم، قال: أرسل إليه، قال: نعم، فلما فتح علونا السماء الدنيا، فإذا رجل قاعد على يمينه أسودة وعلى يساره أسودة، إذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل يساره بكى، فقال: مرحى بالنبي الصالح والابن الصالح، قلت جبريل: من هذا؟ قال: هذا آدم وهذه الأسودة على يمينه وشماله نسيم بنيه، فأهل اليمين منهم أهل الجنة، والأسودة التي على شماله أهل النار فإذا نظر عن يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى حتى عرّج بي إلى السماء الثانية

فقال لخازنها: افتح ...﴾[1] وهكذا حتى عرّج السموات السبع والتقى بجميع الأنبياء، موسى، عيسى، إدريس، إبراهيم عليهم السلام، إلى أن يقول: ﴿ففرض الله على أمتي خمسين صلاة، فرجعت بذلك حتى مررت على موسى، فقال:ما فرض الله على أمتك، قلت: فرض خمسين صلاة، قال: فارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك، فراجعني فوضع شطرها ... إلى أن أصبحت خمس صلوات﴾[2] وهكذا يستمر في سرد هذه المعجزة إلى أن يبلغ سدرة المنتهى إلى الجنة الطهور.

كما روى عن زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن اسحاق المطلبي، قال: كان عبد الله بن مسعود يقول: ﴿وأوتي رسول الله ﷺ بالبراق، وهي الدابة التي كانت تحمل عليها الأنبياء قبله، تضع حافرها في منتهى طرفها، فحمل عليها، ثم خرج به صاحبه يرى الآيات فيما بين السماء والأرض، حتى انتهى إلى بيت المقدس، فوجد فيه إبراهيم الخليل وموسى وعيسى في نفر من الأنبياء قد جمعوا له فصلى بهم، ثم أتي بثلاثة آنية، إناء فيه لبن، وإناء فيه خمر، وإناء فيه ماء، قال: فقال رسول الله ﷺ: فسمعت قائلا يقول حين عرضت عليا: إن أخذ الماء، غرق وغرقت أمته، وإن أخذ الخمر غوى وغوت أمته، وإن أخذ اللبن هدى

[1]- فتح الباري، شرح صحيح الإمام عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، شيخ الإسلام، قاضي القضاة، الحافظ أبي الفضل، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد، بن حجر العسقلاني الشافعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط3،سنة 1985، 364/1، 368.

[2]- المرجع السابق، ص 364، 368.

وهديت أمته، قال: فأخذت إناء اللبن فشربت منه، فقال لي جبريل عليه السلام، هديتَ وهديت أمتك ياحمد﴾[1]

إنه تداخل نصي، حافظ من خلاله الشاعر على دوام النص الأصلي "الحديث" مع إجراء بعض التغيير في التشكيل الشعري ونقصد بالتداخل النصي هنا «التواجد اللغوي (سواء أكان نسبيا أم كاملا أم ناقصا) لنص في نص آخر ...»[2] حيث إن الشاعر استطاع من خلال هذه الأبيات الشعرية أن يصف لنا تلك الرحلة العجيبة وهي معجزة من حيث كونها خارقة للعادة ولما ألفه الناس من قوانين الانتقال، إذ أن الرسول ﷺ قطع الرحلة ذهابا وإيابا مع كثرة ما رأى من مشاهد ومناظر يحتاج بعضها إلى سنوات، كل ذلك في فترة زمنية قدرت بأنّها قبل أن يبرد الفراش.[3]

فالشاعر قد عرف كيف يتعامل مع نص الحديث ويتناص معه عن طريق التضمين قراءة وتوظيفا وما التناص «إلا جدلية التذكر التي تنتج النص حاملة آثار نصوص متعاقبة».[4] فهذا التفاعل مع نص الحديث ساعده على نسج تجربته وفق رؤيته وحالته

[1]- ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق وضبط وشرح، مصطفى السيقا إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 37/2،ص 38.

[2]- جيرار جنيت، مدخل لجامع النص، ترجمة عبد الرحمان أيوب، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب، ط2،سنة 1986ص90.

[3]- ينظر: راجح عبد الحميد الكردي، شعاع من اليسرة النبوية في العهد المكي، شركة الشهاب للنشر والتوزيع، الجزائر،سنة 1985، ص168.

[4]- تزفيتان تودوروف وآخرون، في أصول الخطاب النقدي الجديد، (مفهوم التناص في الخطاب النقدي الجديد)، ترجمة أحمد المديني، دار الشؤون الثقافية، بغداد العراق ،1987، ص109.

النفسية، فهو منبهر بشخصية الرسول ﷺ مما جعله يذكر في هذه القصيدة كل ما يخصه من صفات، حيث نجده يذكر أسمائه بقوله:[1]

محمد، أحمد، خير الأنـــام ومـــــن خصته في الذكـر أوصاف شريفـــات

الحاشر، العاقب، الماحي الذي محيـــت عن الـــــورى بمواضيه الغوايـــــات

إنّه تناص تآلفي أو تطابقي مع حديث رواه البخاري عن أسماء الرسول ﷺ، عن مالك عن ابن هشام عن محمد عن جبير بن مطعم عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «خمسة أسماء: أنا محمد وأحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب»[2] فهذه الأسماء الخاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم، ضمنها الشاعر في قصيدته واستلها في هذا الحديث، وهذا يدل على مدى تعلق الشاعر بالرسول الكريم، ومدى حبه له واتباع سنته الشريفة وهذا الحب يوصله إلى هدفه وهو نيل محبة الله لأن «الحب الإلهي وراء حب العقلاء من الإنسان والجن والملك، فإنه صفة قديمة قائمة بذاته تعالى، وحب العقلاء قائم بهم فيحبونه بحبه إياهم،[3] وحبه العميق للشخصية المحمدية جعله يسرد لنا صفاته الخلقية أو الحسية.[4]

أزج، أبلج، أقنى الأنف قد بسمـــــت منه عن اللؤلؤ الرطب الثنيـــــــات

---

[1]- ابن الخلوف، الديوان، 326.

[2]- محمد الصالح الصديق، السراج المنير، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، سنة 1999 ،ص50 .

[3]- محمد علي التهانوي، كشاف إصلاحات الفنون، مج1، ت الدكتور لطفي عبد البديع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج3،سنة 1973، ص 370.

[4]- ابن الخلوف، الديوان، ص: 328،327، 329.

محبب الثغر حلـــــو الشكل منطقه عن الفصاحة تروى والبـــــــلاغات

مخرج الحـــد، لدن القد، تحسبـــــه غصنا، تفتح في أعـــــــــلاه وردات

أعز، أشب ساجي الطرف لو فرضت ملاحه ما تعدته الملاحـــــــــــات

أشم، أحرى شريف النفس قد خضعت لترب أفعاله الشم الرفيعـــــــــات

عبل الذراع، ندي الكف ملتفـــــــت عن جيد ظبي، خلت منـــــه التفاتات

ضخم الكرادس، رحب الصدر، منعطف عن عطف بان زهت منـــه انعطافات

زاهي الجبين، سواء الصدر، تعضـــده حلاوة مزجت فيها طـــــــــلاوات

إلـــــى أن يقـــــــول:

تجمعت فيه أوصاف الجمـــــال، كما تفرقت في معانيه الكمـــــــــــلات

أراده الله محبوبا بحضرتـــــــــــه فكـــــــــــــان ذاك، ولله الإرادات

لقد استدعى الشاعر في هذه الأبيات جمال هيئة الرسول ﷺ وحسن خلقته، مع جمال في النفس ينعكس بها على الوجه «فمحمد يعده الله عزوجل لأن يكون نية الخاتم للبشرية، ورسوله المجتبي، وسفيره إلى كل خلقه يقيم الحجة على البشرية كافة، ومن يرشحه الله عزوجل لهذه الوظيفة، فإن يكفل له كل ما يساعده على إنجازها وإتمامها، بحيث يجعل لصاحبها قبولا في نفوس الناس، وحيث لا يجد الناس فيه ما يعيبه خلقا ولا خُلقا ... وأن

تتوافر فيه الصفات الطيبة ولمحات الذكاء، وسلامة الفطرة، وسلامة الهيئة من كل مايعيبها من العيوب»[1]

فهذه الأوصاف التي ذكرها الشاعر تتناصى في معضمها، إن لم نقل كلّها مع تلك التي ساقها ربيب النبي ﷺ، هند بن أبي هالة ابن خديجة زوج رسول الله ﷺ، وكان وصافا فقال: كان رسول الله ﷺ، فخما مفخما يتلألأ وجهه، تلألؤ القمر ليلة البدر، أطول من الربوع، وأقصر من الشذب (أي ربعه أقرب إلى الطول منه إلى القصر ولم يكن بائن الطول)، عظيم الهامة، رجل الشعر (أي شعره مرسل كأنه ممشط) إذا انفرقت عقيقته فرق (شعره قابل للفرق) وإلا لا يجاوز شحمة أذنية، ذا وفرة أزهر اللون (أي نيرا مزهرا)، واسع الجبين، أزج الحواجب سوابغ في غير قرن، بينهما عرق يدره الغضب، أقنى العرنين (أي أنفه مائل) له نور يعلوه يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشم، كث اللحية، سهل الخدين، ضليع الفم، أشنب مفلج الأسنان (أي أن بين أسنانه مسافات قليلة جدا وهذا من الجمال)، دقيق المسربة (شعره بين الصدر والسرة كأنه خيط) كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة، معتدل الخلق باديا متماسكا، سواء الصدر والبطن، فسيح الصدر، بعيد ما بين المنكبين، عاري الثديين والبطن، مما سوى ذلك، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر، طويل الزندين، رحب الراحة، شنن الكفين والقدمين (أي كفاه وقدماه ممتلئة لحما) سائل الأطراف، إذا زال زال تقلعا (أي إذا مشى، مشى بقوة، بحيث يرفع رجله بقوة) ... يمشي هونا ذريع المشية، إذا مشى كأنه ينحط من صبب، وإذا

[1]- راجع عبد الحميد الكردي، شعاع من السيرة النبوية في العهد المالكي، ص53.

التفت، التفت جميعا، خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جل نظره الملاحظة، يسوق أصحابه ويبدأ من لقيه بالسلام عليه الصلاة والسلام.[1]

إنها صفات الجمال والكمال التي خصها الله عزوجل لرسوله الكريم ﷺ استجابة لدعائه الذي يقول فيه «اللهم كما أحسنت خَلْقِي فحسن خُلُقِي».[2]

فاستجاب الله دعاءه، ﷺ وجعله أكمل الناس خلقا واجتمع فيه من خصال الكمال التي لا يحيط بها حد ولا يحصرها عد،[3] وهذه الصفات تناولتها كتب التاريخ والسيرة النبوية في جميع أطوارها المختلفة، والشاعر يتناص مع هذا الحديث ومع ماذكر في كتب السيرة النبوية تناصا إشاريا، تآلفيا حافظ فيه على البنية اللفظية والمعنوية محاولا امتصاص كل ما يتعلق بخصاله، ﷺ، لأنه هكذا كان يتقرب إلى ربه وكما ورد عن الرسول ﷺ قال: «إنّ الله عزّوجل جميل يحب الجمال»[4] وابن عربي يرى بأن المخلوقات ما هي إلا صورة تتجلى فيها صفات الله عزوجل وأسماؤه الحسنى لذلك فهو بين الحكمة من خلق الخلق فيفسر الحديث القدسي: «كنت كنزا مخفيا لم أعرف فخلقت فيه فعرفوني بأن الحق تعالى شاء أن يظهر الخلق عامة والإنسان خاصة ليعرف، وليرى نفسه في صورة تتجلى فيها صفاته وأسماؤه».[5]

---

[1]- المرجع السابق، ص 56-57.

[2]- محمد الصالح الصديق، السراج المنير، ص72.

[3]- المرجع السابق، ص72.

[4]- أي ونسنك، المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، 407/1.

[5]- أبو الوفا الغنيمي التفتزاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط3، القاهرة، 1988، ص202.

وهكذا يصبح الجمال مظهرا من مظاهر الاتصال، إذ الجمال هو الله وأنّ كل جميل يوصل إلى حب الجميل ويوصل إلى الجمال الحقّ.

ولا نزال نتعايش مع الشاعر في تناصاته مع الحديث النبوي عبر قصيدته فبعد أن وصف الشاعر الرسول ﷺ بصفات الجمال والكمال التي خصها الله عزّوجل لرسوله ﷺ نجده يمتدح المقربين له من الصحابة يقول:[1]

رجال صدق وفوا الله ما عهدوا فهم أولوا الحق أحياء وأمـــــــوات

أشده رحماء، طيبون لهـــــــم في الذكر –والله- أوصاف جميـــلات

شـــــــم لحماة دعاة أبحـــر سحب صيد صدور حماة الحـــرب قادات

زهر، هداة عيون أنجـــــــــم درر غر كرام سراة الحي ســـــــــادات

سادو بصحبته من ساد الورى ونمـــــت بهم لذا الفخر أنساب عريقـــــــات

المتأمل لهذه الأبيات يجدها تناص إشاريا مع تلك الأحاديث التي رويت عن الرسول صلى الله عليه وسلم والتي ضمنها هذه الأبيات في الدائرة التي تخدم المعنى وتنتج دلالات أكثر قوة ومنها ما روى الشيخان عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة»[2]وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

[1]- ابن الخلوف، الديوان، ص336.

[2]- النووي، رياض الصالحين، ص146.

قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا وإن الله أمر به المرسلين»[1] فقال تعالى: ﴿ياأيّها الّذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾[2]، كما روى الشيخان عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ ﴿المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده﴾[3] وروى الشيخان أيضا عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ﴿لاتباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابرو ولا تقاطعو وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث﴾[4]

والشاعر قد وظف هذه الأحاديث للرسول ﷺ عن طريق التضمين، محافظا بذلك على بنية المعنى، مع إجراء تغيير على مستوى بنية الكلمة ليجسد لنا تلك العلاقة الموجودة بين النص الحاضر (القصيدة) والنص الغائب (الحديث) والتي تعطينا بنية موحدة لما يجمع بينهما في وحدة المعنى لأن الكاتب أو الشاعر إنما يكتب لغة استمدها من مخزون معجمي له وجود في أعماقه ... وهو مخزون تكون من خلال نصوص متعاقبة في ذهنه.[5] فالمغزى من الأحاديث المذكورة هو الذي ذهب إليه الشاعر، فقد أورد لنا الصفات التي كان يتميز بها الصحابة، من صدق وحق وطيبة ووفاء بالعهد والرحمة والمحبة، وكلها خصال حميدة وهذا هو المعنى الذي سعت إليه أحاديث الرسول ﷺ وسعى إلى تحقيقه الشاعر أيضا.

---

[1]- المرجع نفسه، ص169.

[2]- سورة البقرة/ 172.

[3] - النووي، رياض الصالحين، ص131.

[4]- المرجع نفسه، ص132.

[5]- ينظر: عبد الله محمد الغذامي، الخطيئة والتفكير، النادي الأدبي الثقافي، جدة السعودية، د ط، ص323.

إنّ ابن الخلوف شديد التأثر بشخصية الرسول ﷺ، لذلك راح ينهل من منبعه العذاب، من أقواله وأفعاله وكل ما يتعلق بسيرته الزكية ﷺ.

والله تعالى اصطفى محمد ﷺ وجعله نموذجا فذا ومثالا كاملا اجتمعت فيه شجاعة موسى وشفقة هارون، وصبر أيوب، وإقدام داوود، وعظمة سليمان وبساطة يحي ورحمة عيسى ... صلوات الله عليهم أجمعين.[1]

فهو القائل ﷺ ﴿إن مثلي ومثل الأنبياء من قبل كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ فأنا اللبنة وأنا خاتم الأنبياء﴾[2] فلقد كان من سبق الرسول ﷺ من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين كالمصباح كل منها وضع في زاوية خاصة لا يضيء غيرها، فلما طلعت شمس الرحمة العامة والهداية الشاملة من أرض الحجاز، لم تعد هناك حاجة إلى تلك المصابيح، وليس في طلقة أي نور آخر أن يقوم مقام هذه الشمس التي سطعت على العالم، فغمرته وبددت ظلماته.[3]

وبهذا فالنبي محمد ﷺ يعتبر النموذج المثالي للإنسانية قاطبة يحتذي به في تصرفاته وأعماله وأخلاقه ... وكل من أحب النبي ﷺ فقد أحب الله، فقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي

[1]- ينظر: محمد الصالح الصدديق، السراج المنير، ص82

[2]- المرجع نفسه، ص79.

[3]- المرجع نفسه، ص 79-80.

الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ﴿كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قيل: ومن يأبى يارسول الله قال: من أطاعني، دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى﴾[1]

فهذه العلاقة المشتركة بين نص الشاعر "القصيدة" ونص الحديث النبوي الشريف، ولدت صورة للتراث بطريقة محافظة حتى ترسخ في ذهن المتلقي قيمة هذا النص المعجز الغائب والحاضر في الوقت نفسه.

وعموما فإن التناص مع الحديث النبوي الشريف يعتبر في هذه القصيدة مركز الرحى، لأن الحديث النبوي الشريف والسيرة النبوية الشريفة من أهم الموضوعات التي حاول الشاعر استلامها وصياغتها وفق رؤيته الشعرية التي تبدوا واضحة كل الوضوح في هذا النص، بل إنها تفصح عن هذا التواصل وتفرض نفسها على القارئ ممارسة وتصورا، وارتحالا في التاريخ العربي الإسلامي، إن لم نقل أن ذلك كان الهدف الذي أنتجت من أجله هذه القصيدة ومثل هذا التناص متأصل في الأدب العربي، إن لم نقل أنه أصبح نظام فكرة ومنطلق ثقافة، وخصوصية بنائية مشتركة في إطار نظري عام، ولا يمكن أن يفهم هذا التناص بمعزل عن هذه الإشكالية المرتبطة بما قلناه آنفا، إلاّ أن التقنية المتبعة فيه تقنية سطحية.

[1]- النووي، رياض الصالحين، ص 90.

خاتمة

خاتمة:

لا شك أنه بعد الخوض في غمار أي بحث يخلص صاحبه إلى نتائج أو بالأحرى إلى بعض الملاحظات تكون نسبية، ونحن من خلال جمع محتوى محتوى صفحات هذا البحث توصلنا إلى بعض النتائج والملاحظات نذكر منها:

1- قلة الدّراسات الحديثة لشخصية ابن الخلوف وكذلك لقصائد ديوانه.

2- إن تائية ابن الخلوف تُعدّ رؤية فنية لواقع صاحبها بيّنت لنا التجربة الشعرية لهذا الشاعر المغربي.

3- بين الشاعر من خلال تائيته الهدف الذي من خلاله نظمها، فكان القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف المعين الذي استقى منه الشاعر قصيدته والتي كشفت لنا عن ذلك التناص المبثوثِ عبر القصيدة.

إذا كان التناص هدما لبعض النصوص السابقة فإنّ التناص في تائية ابن الخلوف هو إعادة إحياء النصوص السابقة لأن ابن الخلوف شاعر مرتبط بالأصالة وتكرار التراث بتقنيات عصره، فوجدناه من خلال التاص العمودي "العميق" يلتجئ إلى القرآن حيث استلّى تلك الآيات محافظا عليها نتيجة لتقديسه لمكانتها.

ويكون التناص عنده أفقيا واضحا حين يلتجئ إلى الحديث النبوي الشريف، حيث يتحاور معه بطريقة التآلف، فيصف الرسول ﷺ وصفا تاريخيا.

هذه هي أهم النتائج التي استنتجتها من خلال هذه القصيدة "تحية المشتاق وتنجية الأشواق" وهذا جهد المقل الذي يبقى ذا نقص وختاما نسأل الله عزّوجل أن يرزقنا العمل الصالح بعد العلم النافع وصلى الله على نبيّنا محمد.

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

I- المصادر:

1- القرآن الكريم برواية ورش.

2- ابن الخلوف: ديوان جني الجنتين في مدح خير الفرقتين، تحقيق العربي دحو، دار هومة، الجزائر، سنة 2004.

II- المراجع العربية:

1- أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، مؤسسة الرسالة، ط2، ج3/ سنة 1986.

2- الموسوعة الشعرية CD، الإصدار الأوّل.

3- أحمد رضا: معجم متن اللغة، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، سنة 1960.

4- إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، دار العودة، أسطمبول، تركيا، سنة 1989.

5- ابن منظور: لسان العرب، تحقيق مجموعة من الأساتذة، دار المعارف، مصر ج6.

6- عبد المالك مرتاض: بنية الخطاب الشعري-ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1991.

7-سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت ط1، 1989.

8- نور الدّين السّد: الأسلوبية وتحليل الخطاب الشعاري، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1997.

9- علوي الهاشمي: ظاهرة التعالق النصي في الشعر السعودي الحديث، مؤسسة اليمامة، الصحفية، الرياض، 1998.

10-حسن محمد حماد: تداخل النصوص في الرواية العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر 1998.

11-عمر أوكان: لذة النص أو مغامرة الكتابة لدى بارث، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1991.

12-محمد بن عمارة: الصوفية في الشعر المغربي المعاصر، شركة النشر والتوزيع، المدارس، ط1، المغرب، 2001.

13- شمس الدين محمد عبد الرحمان السّخاوي: الضوء اللامع، مكتبة الحياة، بيروت، مج1، مج2، (د، ط، ت).

14- عبد الرحمان بن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ج2، 1995.

15- ابن جعفر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة، بيروت، كتاب الجهاد، حديث 2977، ج3، (د، ت).

16- محمد علي الفاروق التهانوي: كشاف إصلاحات الفنون، تحقيق الدكتور لطفي عبد البديع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج3، 1973.

17- سعاد الحكيم: المعجم الصوفي، د ندرة للطباعة والنشر، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1981.

18- يحي بن شرف الدين النووي: شرح متن الأربعين النووية، تحقيق عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1982.

19- محمد لطفي اليوسفي، الشعر والشعرية، الفلاسفة والمفكرون العرب، ما أنجزوه وما هفوا إليه، الدار العربية للكتاب، 1992.

20- أبو هلال العسكري الحسين بن عبد الله بن سهل: الصناعتين، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى اليابي الحلبي، القاهرة، 1965.

21- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، ج1، 1985

22- عبد الحكيم حسان: التصوف في الشعر العربي، نشأته وتطوره حتى آخر القرن الثالث هجري، مكتبة الأنجلوا المصرية، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1954

23- محمد الخضر حسين: نور اليقين في سيد المرسلين، دار الحضارة للطباعة والنشر، ط2، 1986

24- بسام قطوس: سيمياء العنوان، وزارة الثقافة، مطبعة البهجة، عمان، الأردن، 2002

25- تامر سلوم: نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط1، 1983

26- محمد حسين الحمصي: قرآن كريم، تفسير وبيان مع أسباب النزول للسيوطي، دار الرشيد، دمشق، (د، ط، ت)

27- رولان بارث: لذة النص، ترجمة منجي الشملي وعبد الله صولة ومحمد القاضي، حوليات الجامعة التونسية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، عدد 27، 1988

28- أي ونسنك: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، مكتبة بريل في مدينة ليدن، ج1، 1936

29- يحي بن شرف الدين النووي: رياض الصالحين لاختصار الشيخ البنهاني، مكتبة النهضة، الجزائر، (د، ت)

30- ابن هشام: السيرة النبوية، تحقيق وضبط وشرح مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ج2، (د.ت)

31- جيرار جنيت: مدخل لجامع النص، ترجمة عبد الرحمان أيوب، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1986

32- راجح عبد الحميد الكردي: شعاع من السيرة النبوية في العهد المكي، شركة الشهاب للنشر والتوزيع، 1985

33- تزفيتان تودروف وآخرون: في أصول الخطاب النقدي الجديد (مفهوم التناص في الخطاب النقدي)، ترجمة أحمد المديني، دار الشؤون الثقافية بغداد العراق، 1987

34- أبو الوفاء الغنيمي التفتزاني: مدخل إلى التصوف الإسلامي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط3، القاهرة، 1988

35- عبد الله الغذامي: الخطيئة والتفكير، النادي الأدبي الثقافي، جدة، السعودية (د، ط، ت)

III- الدّوريات:

1-مجلة الوحدة المغربية: السنة 6، العدد 83/82، يوليو أغسطس، 1991، عبد الواحد لؤلؤة، من قضايا الشعر العربي المعاصر، التناص مع الشعر الغربي.

2-مجلة أفق إلكترونية: العدد38، 2003، إيمان الشنيني، التناص (النشأة والمفهوم) جدارية محمود درويش "نموذجا"

3-مجلة الموقف الأدبي: دمشق، العدد 355، نيسان، 2002، حسان فلاح أوغلي، التناص، إقتحام الذات عالم الآخر.

الفهرس

الفهرس الموضوعات:

مقدمة .....أ

الفصل الأول بوابات البحث وسياجاته

- ماهية التناص (المفهوم والمصطلح) 05
- التعريف بالشاعر 11

الديوان (لمحة) 16

- التائية 18

الفصل الثاني الجانب التطبيق

- تمهيد 22
- التناص الأفقي مع الحديث النبوي الشريف.....23

خاتمة 43